شروطاً غائبة او لم تولد بعد، بل يعكس شروطاً قائمة، وهو بأدبيته نتاج وانعكاس لها... ولا يمكن ان نرى النص الادبي بمعزل عن التاريخ الذي صنعه، بل ان هذا التاريخ، بكل تميزه، يكمن في كل احضان العمل الادبي»[٢].

مقياس تطور البطل في الرواية الفلسطينية

وانطلاقاً من هذه الرؤية للعمل الادبي، نرى ان الرواية الفلسطينية، عكست الواقع التاريخي لحركة المجتمع الفلسطيني، من خلال المركبات الاجتماعية التي تفرضها كل مرحلة من مراحل هذا التاريخ، الذي كان دائماً، ذا صبغة سياسية تنطلق من كونه تاريخ قضية تحرر وطني ديمقراطي. ولما كانت الرواية الفلسطينية، في كافة اتجاهاتها، تمثل هذه القضية، وتعكس مراحلها التاريخية[٣]، كان من الطبيعي ان تنصرف جهود الشخصية الروائية (البطل)، الى تصوير صراع انسان القضية ومعاناته، ومواقفه من الظروف التي مرت بها القضية، وكان يعيشها في صور مختلفة، تفرضها طبيعة المرحلة، وعواملها المتفاعلة. ونتيجة هذه الخصوصية التي ربطت الانسان الفلسطيني — في المقام الاول — بقضية تحرر وطني، وما نتج عنها من تغليب الصراع القومي على ما عداه، كالصراع الطبقي الذي فرضت طبيعة القضية ان يكون ثانوياً، كان من الافضل — في رأينا — رصد تطور البطل في الرواية الفلسطينية، من خلال مواقفه من القضية التي شكل العمل من اجلها مبرر وجوده؛ وهذا يعني انه من التعسف ان ننظر الى شخصية هذا البطل، من خلال ربط تطوره بالبناء الاقتصادي للمجتمع، كما هو حاصل في دراسة البطل في رواية مجتمعات أخرى. فالمجتمع الفلسطيني، لم يشهد استقراراً مكانياً محدد المعالم، ينتج عنه بناء اقتصادي يتطور حسب تفاعلات قوى الانتاج. الا ان هذا لا ينفي وجود تفاوت طبقي، وان مواقف الطبقات الفلسطينية وردود فعلها تجاه القضية، والمدى الذي ستواصل فيه كل طبقة الكفاح، سيختلف من طبقة الى اخرى[٤]. لهذه الخصوصية، التي تجعل من القضية الفلسطينية محوراً اساسياً لشخوص شعبها، نرى ان الاسلوب الافضل لدراسة تطورالبطل في الرواية الفلسطينية، هو رصد مواقفه من هذه القضية، التي عاش الانسان الفلسطيني — اياً كانت طبقته الاجتماعية — متأثراً في نواحي حياته كافة، بما يطرأ على مراحلها التاريخية من تطور ينعكس على شخصية الفرد ومواقفه الاجتماعية»ومن خلال رصد هذه المواقف سنلاحظ ان البطل الروائي الفلسطيني عكس مواقف الشخصية الفلسطينية من القضية على مستويين: احدهما، رد فعل الانسان، خلال مراحل القضية، من النكبة؛ واللجوء الى التمرد والثورة وما بينهما. والآخر، صعود بعض الطبقات، الى مواقع جديدة في الثورة، وهبوط غيرها؛ مما يعني تبدلاً، في حركة المجتمع، ازاء الثورة التي يعيشها الانسان الفلسطيني منذ ما يزيد على خمس عشرة سنة. ومن هنا، اصبح التمحور الاساسي للبطل، يدور حول القضية الفلسطينية، التي تشكل قضيته الوطنية، والشغل الشاغل له. كما ان موقفه منها، يفصح عن موقعه الاجتماعي، وفكره السياسي، لأن هذا الموقف، تترتب عليه التزامات وتضحيات معينة، يقوم الموقع الاجتماعي والفكر السياسي ازاءها، بدور فاعل ومهم.